■■ رب أخ لم تلده أمي .. هذا ما يتمناه كل رجل .. فالاخوان كنوز وافرة .. وصديق الرجل هو نديم فكره ، ومجالسته زين وصحبته عز وأخاؤه شرف وفخر .. فاخوان الصفاء هم الرجال فقط .. والصداقة هي صداقة الرجال فقط .. هذا ما يدعيه الرجال .. وكل صداقة غير رجالي تبدو في نظر الرجال وكأنها نقاعة ماء الحنظل المتفلق .. أي يا صديقاتي لا توجد صداقة بين المرأة والمرأة في سواد عيون الرجال !

الرجل إنسان والمرأة عفريت: نظرية!

ليليات

فالرجال وحدهم هم العالمون علم العلماء بصدق الإخاء وصحة الوفاء ورقة المحبة .. تعقل الرجل كله صفاء وقلبه كله نقاء وورده كله بقاء .. فالرجل انسان وابن انسان ومنه منبع الانسانية .. والصداقة من أنبل المشاعر الانسانية .. إذن فالرجل وحده هو الصديق الصدوق ولو كان الرجل ابن آدم انسانا .. فإن المرأة بنت حواء قلب .. وقال الشاعر .

وما سمي الإنسان الا لأنه
ولا القلب الا أنه يتقلب

وما دامت المرأة قلبا فمشاعرها تتقلب من صفاء إلى جفاء، ومن مودة إلى عداء ومن محبة إلى بغض ، وبالعكس .. ولا صداقة الا بوفاء .. ووفاء المرأة هو وفاء القلب أي التقلب .. إذن فصداقة المرأة متقلبة .. فالصديقة التي كانت تدحها بالأمس تذمها اليوم وتذمها غدا .. وهكذا .. تقلب في تقلب .. فالمرأة هي الصديقة وهي العدوة .. هي الصديقة اللدود وهي العدوة الصدوق .

فهنا هو منطق قلب المرأة في عقل الرجل .. تدبكي ديكي أنت صديقي ! كما يقول الصغار الذين لم يعلمهم أبدا الكبار أن يقولوا : فرخي أنت صديقي !

فالرجل من شدة حبه للمرأة يعميه الحب عن حقيقة المرأة .. وكلنا نعرف أن الظلام هو نور العمى . وأن الأسود هو لون الظلام .. إذن لما دامت نظرة الرجل للمرأة أعمى من العمى .. فلابد أن تكون صورتها أسود من الظلام . لما أظلم العمى الرجال !

●● وللتأكد من ظلام قلم الرجال للمرأة يكفي أن تتصور وجود متحف وهمي يضم كل ما قيل وكتب وصور وسجل عن الصداقة .. أي متحف خاص بفن وأدب الاخوانيات في العصور القديمة والحديثة .. فماذا نجد ؟

● الاخوانيات المعلبة ●

■ نجد أولا « الاخوانيات المعلبة » التي تحتل ركنا كبيرا من المتحف .. وهي مجموعة لا أول لها ولا آخر من الأفلام البيتانية والتليفزيونية محفوظة داخل علب أو توابيت مغلفة بأحكام . بعد أن تم تحنيطها ببراعة واتقان . وتحصينها بفصل مضاد للبكروبات والطفيليات والفيروسات التي قد تهددها بالتحلل كما حدث لموميا، رمسيس الثاني !

وهذه الأفلام تدور كلها حول موضوع واحد الا وهو تمجيد وتعظيم وتبجيل الرجال وصداقة الرجال في كل زمان ومكان .. من الناطر حسن والناطر محمد والناطر علي إلى الفرسان الثلاثة إلى النياطين الثلاثة .. ومن ثلاثي اخوان ماركس إلى ثنائي لوريل وهاردي إلى ثنائي توني كيرتيس وروجر مور في التليفزيون .

هذا علاوة على أن البطل في معظم الافلام له صديق ولا كل الاصدقاء وأخ لا كأخوة هذا الزمن !

اما الصداقة الأنثوية في الافلام فهي في ظاهرها ود ومحبة ورقي وباطنها حسد وغيرة ، ومكر وخديعة وأذية وثبمة .. فكلها تغدر البطلة صديقتها اللدود بالمعروف . تغدرها عندما الصدوق بالغدر .. وكأن الصديقة لا يرضى قلبها الا بالشر . ولا ينعم بالها الا بالوقيعة . ولا تستريح نفسها الا بالوشاية .. اي باختصار المرأة للمرأة كلها نكران للجميل وكفر بالنعمة .. كلها جحود في جحود وشر في شر !

● الزوجة علة والصديق شفاء ! ●

■ أما « الاخوانيات المطبوعة » فهي تحتل باقي أرجاء المتحف .. وتضم مجموعة عملاقة من النصوص الأدبية تشتمل على أدبيات معجبة ومعان مطربة عن الصداقة الهية التي تربط بين الرجل والرجل !

فالصداقة الرجالي هي جوهرة الجواهر وياقوتة اليواقيت ولؤلؤة اللآلىء وأنا لا أبالغ أبدا .. والدليل أقوال الرجال أنفسهم عن حسن وأنس وفضل ونعمة الأصدقاء !

● فما هو الصديق ؟

« روح في جسدين » كما قال الفيلسوف ارسطو .. و « قلب في جسدين » كما قال الشاعر الفرنسي فيلون .. وحول نفس المعنى كتب السري إلى صديق له : نحن كالنفس الواحدة لا انفصام ولا تميز .. مسكنك الشغاف وحبة القلب وخلب الكبد وسواد العين .. أنت العين الباصرة وإليك ناظرة . فرحتي بك فرحة الأديب بالأديب والمحب بالحبيب . وفرحة العليل بالطبيب !

لما أحلى لقاء الصديق بخلانه واخوانه .. « فلقاء الاخوان نزهة القلوب » كما قال الغني .. و « لقاء الخليل شفاء الغليل » كما قال ابن عائشة .. والنفس بالصديق أنس منها بالغشيق كما قال سليمان بن وهب .

وبما أن المرأة تحول أي كلام عام إلى كلام خاص موجه لها ولها هي بالذات فسوف نترجم هذه الأقوال على الوجه التالي :

بالنسبة للرجل : الهوى هوان .. والزوجة علة .. والعلة ذلة .. والحياة الزوجية تعلب .. والقلب سلب .. والبيت سجن .. والسجن غم . والأقارب عقارب .. فالبعد عن الحبيبة والزوجة والبيت والأقارب أفضل من القرب منهم !

والوحدة موحشة .. إذن لابد للرجل من صديق حتى لا تصير الحياة جحيما وصحراء .. ولابد من قبول الصديق كما هو بعاهته وصغائره .. وربما يكون عبد الله بن طاهر أفضل من عبر عن هذه المعاني في قوله :

أميل مع الذمام على ابن عمي
وأقضي للصديق على المساوي
مخافة أن أصير بلا صديق

● قول يا باسط !

ولو كانت المشاركة الوجدانية مفقودة عادة في دنيا الزواج . فالزوج في واد والزوجة في واد اخر .. ولو تعذبت فهو ولا هو هنا .. ولو فرح فهي ولا هي هنا .. فالعكس صحيح

فى دنيا الصداقة .. أليس الصديق هو الروح والقلب والعين والكبد والكف والمعصم والساعد ؟!

وأحلى ما قيل عن الاخلاص الرجالى ومشاركة الصديق للصديق فى السراء والضراء والنعيم والجحيم قول ابن المعتز :

اعجب لخلين لو فى النار عذب ذا
وذاك فى جنة الفردوس قد نعما
لكان ينعم هذا من تنعمه
وكان يألم هذا ذلك الألما

ولما نضطر الزوجة الى الغياب عن بيتها فى مهمة أسرية .. كزيارة ابنتها أو والدتها .. يقول الزوج فى سره ، لا عينى عينك بالطبع : « قول يا باسط » فلا بد من مراعاة اداب الحياة الزوجية !

أما لو غاب الصديق فالشوق إليه يزداد والعين تحن إلى رؤياه ولا يرتاح الفؤاد الا بعودته .. والزوجة التى يصعب عليها تصديق هذه « الحقيقة الأخوية » عليها أن تقرأ ما كتبه أبو الحسن بن طباطبا لما غاب عنه صديق له :

نفس الفداء لغائب عن ناظرى
ومحله فى القلب دون حجابه
لولا تمنع مقلتى بجماله
لوهبتها لمبشرى بإيابه
فالحمد لله الذى نفع العدا
وأقر أعيننا بعود ركابه

■■ نيا نعيم الصديق بأصدقائه .. ويا جحيم الزوجة بأصدقاء زوجها !

● ديكى ديكى أنت صديق ! ●

ولو كان الزوج .. يحتمل كل انواع الأذى والأذية من زوجه ، ويبكت عليها ، حتى لا تتحول حياته الزوجية إلى لوم وملام وعتاب ومعاتبة .. فالعكس صحيح فى دنيا الصداقة .. فالرجل من شدة احترامه وتقديره ووده ومحبته لصديقه يخلص له أشد الاخلاص .. ولو كان الحب أعمى فى أوله وبنعاس فى اخره ! .. فالصداقة كلها بصيرة .. وبصيرة الاخلاص تخترق الحجاب .. والصديق يقبل أعنف أنواع اللوم وأقصى أنواع الانتقاد من صديقه .. فكم تحمل الأديب فلوبير من نقد وانتقاد من صديقه لورى بوبب . ودون أن تهتز ثقته بنفسه أو بصداقة صديقه . لأنه كان يعلم مدى اخلاصه له ومدى اعجابه به .

والشاعر ابن الرومى كان يعلم أيضا أن لا إخاء بلا صفاء ، ولا صفاء بلا عتاب .. مما جعله يقول يوما لصديق له :

يا أخى أين ربع ذاك الاخاء
أين ما كان بيننا من صفاء
أنت عينى وليس من حق عينى
غضى أجفانها على الاقذاء

ولو كانت الزوجة تتصور أنها أعز وأغلى إنسان عند زوجها ، فهى مخطئة . وقلبى معها .. فالرجل يفضل صديقه على كل إنسان على الأرض .. أفلم يكتب النعالبى النيسابورى إلى صديق له يقول :

عندى إنسان ولكنه أكبر لى من كل إنسان
لقاؤه أشهى من البرد العذب إلى عطشان
فانفرنا عندى أنديكما فأنتما راحى وريحانى
فديكى ديكى أنت عينى وريحانى وصديقى !

● عسل الحنان ●

وكل ما ذكرته جزء على مليون بل على مليار مما قيل وكتب فى أدب الاخوانيات .. والحق يقال أن أقوال الرجال عن صداقة الرجال الحان عذبة وأنغام حلوة تطرب لها أذن كل رجل . اما المرأة فتلقى على أذنيها !.. والزوجة التى تغار على زوجها من أصدقائه معذورة كل العذر .. بل لها ألف عذر وعذر فى غيرتها الثائرة

●● ألست معى ؟!

ولا يمكن أن أترك الغيرة تأكل قلب الزوجة وتلتهمه .. فالمرأة تعيش بقلبها .. لابد أذن أن أحذر حريق قلبها

●● كيف ؟

بكى أن أقول لها إن الصداقة الحقيقية أى الصداقة الأصلية كانت أيام زمان ..

وانها أصبحت اليوم نادرة من نوادر هذا الزمان .

نحياتنا اليوم كلها سرعة وانطلاق وجرى وقفز . وهذا الايقاع السريع يقطع النفس .. والصداقة الأصلية تحتاج إلى نفس طويل ، وطول بال وهدوء بال أيضا .. وهمومنا اليوم كثيرة ومتاعبنا أكثر ومشكلاتنا لا نهائية

●● فكيف يتوافر لنا هدوء البال ؟

والصداقة عمودها وأساسها التفضل النفسى .. والتفضل النفسى يحتاج إلى صبر .. أى إلى اذن صاغية تسمع كل ما يقوله الصديق .. كما أن التفضل النفسى يحتاج أيضا إلى وقت يلتقى فيه الصديقان .. حتى تروى فيه كل روح عطشها إلى المعرفة من الروح الصديقة .. وحتى تتغذى فيه كل روح فكريا من الروح الصديقة .. والرجل اليوم لا يعرف الصبر .. أما عن الوقت فهو فى سباق زمنى معه حتى يخطف منه ولو دقيقة أو حتى ثانية .

فالذى يحدث اليوم بين الرجل وصديقه كالذى يحدث لنا جميعا كل يوم ونحن فى السيارة أو الاتوبيس .. أى أنت لا ترى شيئا .. لا الأشجار ولا الزهور ولا النيل ولا السماء ولا الهلال ولا القمر .. ربما ترى نقط النجوم فى عز الظهر !

والصداقة تحتاج إلى تمتع أعيننا بكل المناظر الطبيعية التى فى الروح الصديقة .. وهذا هو مستحيل المستحيلات اليوم ! فكيف نرى الاخرين ونحن لا نرى حتى أنفسنا !

فعلى الزوجة أن تطمئن كل الاطمئنان . فصداقة الرجال اليوم يمكن تشبيهها بالشركات الساهمة .. أى أنها « صداقة ساهمة » .. أى منظمة وعقلية وعمرها . ينقصها شىء ما اسمه : عسل الحنان الانسانى .

فصداقة الرجال اليوم هى زمالة لا أكثر ولا أقل . فلابد أن يكون الرجل مليونيرا أى صاحب ملايين من الساعات الفراغ . لكى يخلق صداقة أصيلة .. فحتى الصداقة اليوم أصبحت ترفا ! وأنا اقصد بالطبع صداقة الرجال !

● الكتاب الأسود للصداقة الأنثوية ! ●

فجولتنا فى المتحف الوحشى للصداقات والاخوانيات لم تنته بعد .. فعلى رف مهجور ووسط آلاف من الكتب التى تمجد صداقة الرجال .. يوجد كتاب صغير جدا ، يمكن أن نطلق عليه عنوان :

« الكتاب الأسود للصداقة الأنثوية » !

● والفصل الأول منه يدور حول تعريف ونم الصداقة الأنثوية .. وأنها كلام فارغ فى كلام فارغ .. وروغى ولت وعجن .. وتفاهات مشتركة ، ونميمة متبادلة ، وعلاقات سطحية ، وروابط مزيفة ، الى أخره من اتهامات وافتراءات الرجل الظالم على المرأة المظلومة حتى فى صداقاتها الأنثوية !

● والفصل الثانى يحتوى على هجوم عنيف على المرأة .. فأى صداقة بين امرأتين تبدأ وتنتهى بؤامرة من امرأة ثالثة .. فالصداقة الانثوية كلها شر وغدر وخيانة .. وهذا كذب فى كذب ..

● أما الفصل الثالث والأخير من الكتاب الأسود فهو يدور حول استحالة وجود صداقة أنثوية .. وكأن الرجل انسى ابن انسى ومن الانس والمرأة مخلوقة لا تنتمى إلى دنيا الانس بل إلى دنيا الجن والجان .. وكيف يحصل ود ومحبة واخلاص بين جنية وجنية ؟ مستحيل بالطبع ! والدليل على ذلك أن التاريخ والأدب والأساطير لم تذكر سوى الصداقات الرجالى ..

وهذه التهمة باطلة من اساسها ..

أولا :

لأن التاريخ كتبه الرجال .

ثانيا :

لأن المرأة تزرع زهرة الصداقة مثل الرجل تماما ، ولكنها على خلاف لا تزرعها فى أرض تاريخية أو مأساوية أو بطولية تنمو فيها القصائد الشعرية والملاحم والمسرحيات .. وإنما تزرعها فى قلبها وتعيشها فى حياتها اليومية .. ولا تمثلها على خشبة المسرح العالمى .. فالمرأة لا تتباهى بصداقتها مثل الرجل لأن حياء عواطفها يمنعها من ذلك .. والخوف من الحسد أيضا !

فالصداقة الأنثوية موجودة وبخير .. وهى تتمتع بصحة من حديد وصلب .. وهى غير مصابة بانيميا وفقر فى الدم وفى الوقت كما هو الحال فى صداقة الرجال اليوم ! فما أكثر اصدقاءهم وما أفقر صديقهم !